الجوانب الفكرية والتربوية عند لسان الدين بن الخطيب

د. طارق عبد احمد الدليمي
كلية التربية – جامعة الأنبار
قسم العلوم التربوية والنفسية

أهمية البحث والحاجة اليه :

ان من يقرأ ويبحث في التراث العربي الإسلامي ، تنتابه الدهشة أمام الاهتمام الكبير واللامحدود بالعلم ، وهذا التوجه الواضح والشامل يعد مفخرة لكل باحث ومطلع على هذا ألاهتمام ، وهذا النتاج الفكري الديني او الدنيوي .

فقد أكد القرآن الكريم على أهمية التعليم وضرورته ، قال الله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، الزمر ، ٩ . وقال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر ، ٢٨ . وفي أحاديث الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تكريم واضح للعلم وتقدير مكانة العلماء ، فقال صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وقال (العلماء ورثة الأنبياء) ، وقال (اطلب العلم من المهد الى اللحد) .

وعلى هذا الهدي أهتم الخلفاء بالعلماء وأغدقوا عليهم الأموال ، فكان هارون الرشيد يجالسهم ويأكل معهم ويحترمهم ويكرمهم . والمأمون غص بلاطه بالعديد من العلماء والأدباء والفلاسفة والأطباء والشعراء، ونالوا منه عناية واحتراما" فائقين (الحلي : ص٧٠) .

كان يهتدي بعلماء العرب الكثيرون ، وكان يضرب بهم المثل في زهدهم وربطهم بين عقيدتهم وعلمهم ، وقد بذلوا جهودا" جبارة ، وتحملوا صعابا" كثيرة من أجل اكتساب العلم ، والحصول عليه والاستزادة منه دون كلل أو ملل ، وكانوا يشعرون ان من واجباتهم الأساسية نشر العلم بين الناس واكسابهم له ، وكانوا يعدون ذلك من الواجبات الضرورية والأساسية ، ولذلك كانوا حقا" موضع اعتزاز وفخر للامة العربية والإسلامية .

ان التعرف على الماضي ودراسته بشكل مستفيض ودقيق يسهم في بناء الحاضر ويدعمه بشكل كبير .حيث ان الأمة العربية والإسلامية لها ماض عريق وزآخر فيه كثير من الخبرات التربوية والتعليمية التي يفخر بها كل عربي ومسلم (أحمد و مخلف ٢٠٠١ : ص٢٧٧) .

ان الحضارة الأنسانية لم تكن ميراثا" يأخذه الخلف عن السلف بلا جهد أو عناء وانما هي ميراث اجتماعي جاهد الجنس البشري في اكتسابه وحافظ عليه آلاف السنين ولم ينتقل من جيل الى جيل الا بالتربية . فهي التي نقلت الثروات الفكرية والقيم والعادات الطيبة من الآباء الى الأبناء (فهد ، ٢٠٠٤ : ص ١٣٦) .

ان المجتمع العربي اليوم بحاجة الى حالة التواصل الحضاري والتربوي . لذا فهو بحاجة الى فلسفة تربوية تحفظ له ذلك ليساهم في بناء الحضارة الأنسانية لأن التربية وبالتربية وحدها تقوم المجتمعات وتبنى الحضارات (شميس الدين ١٩٨٥: ص ٧) .

وتأتي أهمية البحث الحالي من أهمية دراسة التراث العربي والتي بها يمكن ابراز هذا الثراء الفكري العظيم ، والتعرف على أصحاب العقول التي بنت وأبدعت في ميادين العلم والمعرفة المختلفة حتى وصلوا الى حالة التألق والرقي والشهرة فيها ، فكان كل واحد منهم بمثابة موسوعة علمية في ميادينها المتعددة الجوانب .

ويعتقد الباحث أن من الواجب والأنصاف ، ان نقرأ ونبحث في بطون مؤلفات وتراث هؤلاء العلماء ، ونزيل الغبار عنها ، وننهل من معينها الذي لاينضب والذي سقى ويسقي عقول الدارسين والباحثين بخبرات قلّ نظيرها عند آخرين .

ولسان الدين ابن الخطيب هو أحد علماء العرب والمسلمين ، وأحد علماء الأندلس البارزين ، فكان موسوعة علمية في ميادين الكتابة ، والشعر، والسياسة ، والتاريخ ، والجغرافية ، والطب ، وغيرها .

والباحث في بحثه الحالي، أراد التعرف على شخصية هذا العالم، ودوره في الحضارة العربية الإسلامية، من خلال تحقيق أهداف البحث في التعرف على بعض الجوانب الفكرية عنده. والتعرف على فلسفة السياسة الملكية والسلطانية .

والتعرف باسلوب وصفي ـ تحليلي على وصيته الشهيرة الى أبنائه ، والتى قد تعد منهجا" تربويا" لهم وللآخرين من خلالهم .

ويعتقد الباحث ان ببحثه هذا وبحسب اطلاعه قد طرق بابا" وموضوعا" جديدا" ، في هذا المجال الفكري التربوي والذي قد يكون له عند تحقيق أهدافه فائدة وعون للآباء والمربين ، والدارسين ، والباحثين ، وخدمة للعملية التربوية . وبهذا تتجلى أهمية البحث والحاجة اليه .

أهداف البحث :

يهدف البحث التعرف على :

١ ـ بعض الجوانب الفكرية عند لسان الدين ابن الخطيب .

٢ ـ فلسفة السياسة السلطانية عند لسان الدين ابن الخطيب.

٣ ـ بعض الجوانب التربوية في وصية لسان الدين ابن الخطيب لأبنائه .

حدود البحث :

يشمل البحث وصف للبيئة التي عاش فيها لسان الدين ابن الخطيب ، ونشأته ، واسرته ، وحياته العلمية والفكرية والتربوية .

طريقة البحث : اتبع الباحث في طريقة بحثه المنهج الوصفي التحليلي .

أولا" : مولد ونشأة لسان الدين ابن الخطيب والبيئة التي عاش فيها :

٠١المولد والنشأة :

هو لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني . والسلماني نسبة الى سلمان ، وهو حي من مراد من عرب اليمن القحطانية ، وقد دخلت الأندلس عقب الفتح الإسلامي . ولد لسان الدين بن الخطيب في مدينة لوشة ، وهي احدى المدن ألأندلسية في (٢٥ رجب سنة ٧١٣ هـ)، وعاش وترعرع في بيت علم وجاه ، وكان بيتهم يلقب ببيت الوزير ، ثم سموا ببني الخطيب ، وتعود هذه التسمية ، وهذا اللقب الى عهد جده سعيد ، والذي استوطن هذه المدينة أي مدينة لوشة ، فكان سعيد (الجد) من أهل العلم والخير والصلاح ، وكان يلقي دروسه ومواعظه في ظل برج مجاور لسكن أسرته ، ومن خلال هذا أورث اللقب لأبنائه ، وصاروا يعرفون فيما بعد ببنوا الخطيب (ابن الخطيب ، ترجمته لنفسه :ص ٢٨٧) .

لقد انتقلت هذه ألأسرة فيما بعد الى مدينة غرناطة ، بعد ان شعرت بتآمر بعض أعيان المينة على الثورة، وفيها أي في مدينة غرناطة ، صاهرت الأسرة بعض الأعيان من بني أضحى ، الذين يرجعون الى أشراف جند حمص الذين دخلوا بلاد الأندلس ، والذي يرجح على اساسه ان ابن الخطيب هو من أصول عربية من أبيه وأمه (ابن الخطيب ، ترجمته لنفسه : ص ٢٨٧)٠

كانت نشأة ابن الخطيب في مدينة غرناطة ، ففيها تربى ، وبها ترعرع ، وبها تلقى تعليمه ، ودراسته ، وبها نال استقراره ، ولكن بالرغم من ذلك كله الا أنه لم ينس المدينة التي ولد فيها ، وهي مدينة لوشة ، والتي كان يعدها بمكانة الأم ، وكان يذكرها ويتغنى بها في شعره ، ويسميها (بنت الحضرة) أي بنت غرناطة ، وكانت غرناطة في ذلك الوقت ملتقى العلماء ، والأدباء ، ومركزا" للدراسات في الغرب الإسلامي . وفي هذه المدينة قرأ ابن الخطيب وتأدب على مشايخها ، واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل ، فأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب ، وانتحل الأدب (ابن خلدون : ص ٣١٣) .

٠٢ أساتذته :

درس لسان الدين ابن الخطيب علوم اللغة ، والشريع ، والادب على شيخ النحاة في عصره أبي عبدالله ابن الفخار الالبيري ، وعلى أبي القاسم محمد بن علي الحسيني السبتي ، والمحدث شمس الدين بن جابر الوادي آشي ، وأبي عبدالله بن مرزوق فقيه المغرب الكبير ،، والقاضي أبي البركات بن الحاج البلفيقي ، وأخذ الأدب والشعر عن الوزير أبي عبدالله بن الحكيم اللخمي ، وعن ذي الوزارتين النيس أبي الحسن علي بن الجيّاب امام النثر والنظم في عصره ، ودرس الطب والفلسفة على فيلسوف العصر الشيخ أبي زكريا يحى بن هذيل .

٠٣ البيئة التي عاش فيها ابن الخطيب :

عاش ابن الخطيب في ظل أبيه ، حياة سلطنة ، وأبهة وجاه ، فكان لهذا أثرا" في شخصيته اللاحقة ، فعندما توفي أبوه ، أتيحت له الفرصة ان يشغل مكان أبيه ، فتولى أمانة السر لاستاذه الرئيس أبي الحسن الجياب وزير السلطان أبي الحجاج يوسف وكاتبه ، حيث كان عمره آنذاك ثمان وعشرين عاما" (عنان :ص ٣٥).

وعمل أبن الخطيب في ديوان الانشاء تحت أشراف أستاذه الكاتب والشاعر المبدع ابن الجياب ، فتلقى أفضل أساليب النظم والنثر في ذلك العصر ٠ وبرزت مواهبه ، وبراعته في تدبيج الرسائل السلطانية ، وسلطت عليه الاضواء ، والانظار ، ورشح ليكون خلف استاذه الكبير أبن الجياب .

وعندما تفشى مرض الطاعون في تلك البلاد في ذلك الزمان ، كان من بين ضحاياه ، ابن الجياب ، وكما هو متوقع ، فقد خلفه في رئاسة الكتاب ، ورئاسة ديوان ألأنشاء ، ومنحه السلطان ابو الحجاج يوسف رتبة الوزارة والقابها ٠ و كان في ذلك الوقت الحاجب أبو النعيم رضوان كبير الوزراء ، وهو من أصل قشتالي ، سبي وهو صبي ، وتربى في القصر السلطاني ، وكان ابن الخطيب يحظى بتقديره وثقته .

وعندما أمر السلطان يوسف بن الحجاج بانشاء مدرسة (جامعة) غرناطة ، وتم بناؤها ، ورتب لها الاوقاف الجليلة ، وصارت من أعظم مناهل العلم في الغرب الإسلامي ، في ذلك الوقت زادت مكانة ابن الخطيب عند السلطان ، فأغدق عليه عطفه ، وصار موضع ثقته ومن المقربين ، وجعله كاتب سره ولسانه في المكاتبات السلطانية ، وصدرت منها بقلم ابن الخطيب آنذاك أبدع الرسائل الملوكية والتي يصفها ابن خلدون (بالغرائب) لروعتها ، وجمالها (عنان : ص ٣٧).

عندما توفي السلطان أبو الحسن المريني والد سلطان المغرب أبي عنان ، حزن عليه أهل الأندلس حزنا" عميقا" ، لمواقفه الجهادية التي ناصر بها أهل الأندلس ، وتقديرا" له واعتزازا" به ، تم ارسال أبن الخطيب الى المغرب لتقديم عزاء ملك الأندلس السلطان يوسف أبو الحجاج الى السلطان أبي عنان لوفاة والده .

وعندما استلم الحكم أبوعبدالله محمد الغني بالله بعد مقتل أبيه على يد شخص فاقد عقله ، ظل ابن الخطيب متمتعا" بمكانته وثقته عنده ، حتى صار يعرف ، ويلقب (بذي الوزارتين) ، لجمعه بين الكتابة والوزارة ، أو لجمعه بين الكتابة والقيادة ، يقول ابن الخطيب (ولما هلك السلطان ((يقصد أبو الحجاج)) ضاعف ولده حظوتي ، وأعلى مجلسي ، وقصر المشورة على نصحي) .

وعندما سقط الغني بالله بعد استيلاء أخيه اسماعيل على الحكم ، صار ابن الخطيب في حال لايحسد عليها، فبالرغم من انه بقي في الوزارة لعدة اسابيع ، بعد مسايسة السلطان الجديد ، ولكن في النهاية ، ونتيجة لتحريض خصومه ، قبض عليه ، وفقد أملاكه وثروته ، ومكانته (عنان : ص ٥٠) .

وعندما جاء الى الحكم في المغرب أبو سالم ،بعد مواقف سياسية مربكة ، وعودته من الأندلس، واستلامه سدة الحكم سنة ٧٦٠ هـ توسط للغني بالله عند ملك الأندلس ، لاجازته ، ووزيره ابن الخطيب ، والشيىء الذي يمكن ان يقال ان هذا العمل الذي قام به ابو سالم ، ما هو الا وفاء للدين الذي كان يستحقه الغني بالله ومواقفه الطيبة ، وصداقته لأبو سالم ايام محنته وبعده عن الحكم .

ارسل ابوسالم الى الأندلس الوزير الشريف ابو القاسم التلمساني للافراج عن الغني بالله ، ووزيره ابن الخطيب ، وبعد نجاح السفير المغربي في مهمته ، تم الافراج عنهما ، وغادرا الأندلس الى المغرب ، فوصلاها في ٦ محرم ٧٦١ هـ واستقبلا من قبل السلطان أبي سالم أجمل استقبال ، واقيم لهما حفل كبير ، فيه التقى ابن الخطيب بابن خلدون لأول مرة ، وكان لهذا اللقاء أثر في حياة كل منهما ، فكان كل منهما

يسمع للآخر ، ويتفاعل معه ، على الرغم من فارق السن بينهما حيث كان ابن خلدون في عز الشباب ، وابن الخطيب في طور الكهولة .

عاش بن الخطيب في المغرب برعاية واهتمام كبيرين من قبل السلطان ، وكان من المقربين اليه ، وكان له الصدارة في مجلسه . استأذن ابن الخطيب السلطان أبي سالم بالسماح له بالتجوال في مراكش والأطلاع على سير الأعمال السلطانية فيها ، فكان له ما أراد ، وأمر القائمين على تلك الاعمال بتسيل مهمة ابن الخطيب ، واكرامه . وهكذا بدأ ابن الخطيب تجواله في المدن التي أراد ان يزورها في ضوء الأمر السلطاني الذي صدر له ، فزار مكناس والتقى بعلمائها وادبائها ، واستمر في رحلته مارا" بعدد من المدن ، ومنها مدينة آسفي ، ومن ثم مدينة آنفي التي تعرف اليوم بالدار البيضاء ، وبعدها اتجه الى مدينة الشالة التأريخية المقدسة ، وعندها زار قبر السلطان أبي الحسن المريني والد السلطان ابي سالم ، وانشد قصيدة في مدحه وكتب خطابا" في حقه . وبعد مكوثه مدة فيها غادرها الى مدينة سلا ، وكانت هذه المدينة هي هدفه المنشود .

كانت مدينة سلا مقصدا" للعباد الزهد لاجل العبادة والخلوة ، ولهذا فهي تشتهر بهذه الخاصية لدى أتقياء المغرب ، وعندما وصلها ابن الخطيب ، كانت تحدوه نفسه للاستقرار فيها ، والزهد، والانقطاع الى الله سبحانه وتعالى ، والابتعاد عن الحياة الدنيا ومغرياتها .

بقى ابن الخطيب في مدينة سلا عامين كاملين وتعد هذه الفترة من أخصب حياته الفكرية ، وكان يشعر فيها بحياة هادئة و مستقرة و فيها :

- التقى الولي الزاهد الكبير أبا العباس بن عاشر .
- ظل يشعر بالميل الى الخلوة ويتردد على زيارة ضريح السلطان أبي الحسن المريني .
- اقتنى الدور الفخمة ، والرياض الجميلة الغناء .
- وضع عدد من المؤلفات والرسائل ، وصدر عنه كثير من النظم الجيد ، وكان من أهم مابدأ بتصنيفه كتابه (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب) .

وعندما سقط السلطان أبي سالم المريني بعد ثورة اطاحت به ، وأدت الى مصرعه وتولي أبو الزيان محله، كان لأبن الخطيب موقفا" لايحسد عليه في نكرانه الجميل والعطاء الذي اغدقه عليه أبي سالم ، فبدل ان يذكره بالشكر والامتنان ، قابله بنكران للجميل فذكره بعبارات قاسية في كتابه نفاضة الجراب ، وهذا عد مأخذا" أخلاقيا" عليه في نكرانه للجميل الذي لقيه من أبي سالم ، وأما موقفه من السلطان الجديد فكان موقف المهني والمبارك له في استلامه مقاليد الحكم .

غادر ابن الخطيب المغرب عائدا" الى الأندلس بعد عودة مليكه السلطان محمد الغني بالله الى الحكم ، ودعوته لابن الخطيب بالمجيء اليها . فلبى ابن الخطيب رغبة الملك ، ووصل غرناطة في العشرين من شعبان سنة ٧٦٣ هـ .وعاد الى سابق مكانته في الدولة ، وسابق مناصبه الوزارية ، ولكن نفوذه وحضوته في السلطة لم تكن كما كانت عليه في السابق ، اذ كان ينافسه فيها عثمان بن أبي يحيى ، الذي كان يعزه السلطان ويقربه اليه ، لمساعدته في استرداد ملكه (عنان : ص ١١٠) .

وعندما شعر ابن الخطيب بان الملك قد تغيّر نحوه ، وان مساعي خصومه بدأت تنال منه . بدا بالتفكير في مغادرة الاندلس ، ولكن بحسن تدبير وتدبر ، فكان أن طلب الاستئذان من السلطان الغني بالله ، للسماح له بجولة في الثغور الغربية من ألأندلس ، فما كان من السلطان الا أن أذن له بذلك ، فخرج ابن الخطيب مع ولده علي من غرناطة مع أصحابه متجها" نحو الجنوب حتى وصل الى جبل طارق ، ومنها غادر الى بلاد المغرب فارا" من وطنه ، وكان ذلك في غرة جمادى الآخرة سنة ٧٧٢ هـ ، وقبل مغادرته جبل طارق كان قدبعث برسالة الى مليكه الغني بالله يشرح له فيها أسباب مغادرته ألأندلس ويطلب منه الصفح والمغفرة ، ويلتمسه رعاية اسرته وولده (عنان : ص ١٣٤) .

استقر ابن الخطيب في مدينة فاس المغربية بعيدا" عن الأهل والوطن ، ولكن رعاية الوزير ابن غازي القائم بأمر الدولة له ، خفف عنه كل مشاعر الغربة والابتعاد ، ولو كانت الأمور تسير هكذا لانتهى الأمر بان يقضي ابن الخطيب المرحلة الأخيرة من عمره في هدوء وسلام ، ولكن هروبه من الأندلس على هذا النحو، وفّر لخصومه فرصة اكبر وحجة أقوى للنيل منه وملاحقته والقضاء عليه حتى وان كان في منفاه المغرب .

كانت المسألة الدينية هي الحجة الأقوى ، وهي الوسيلة القوية للقضاء على ابن الخطيب والنيل منه، فاتهموه بالزندقة والخروج على شريعة الأسلام ، ونسبوا اليه أقوالا" ومقالات ، مما جاء في بعض كتبه ورسائله ، وأوّلوها على وفق مقاصدهم ، وزعموا أن منها ما يتضمن طعنا" في حق النبي ، والقول بالحلول، والأخذ بمذهب الفلاسفة الملحدين ، وأعتمدوا في ذلك على الأخص ما جاء في كتاب ضخم لابن الخطيب عنوانه (روضة التعريف بالحب الشريف) ، فقد أوّلوا بعض العبارات وفقا" لمقاصدهم .

يقول محمد عبدالله عنان (ولقد قرأنا هذا الكتاب الضخم لنحاول العثور على شيء من هذه النصوص والمقالات الضالة ، التي يمكن ان تصلح سندا" للاتهام ، ولكننا لم نجد شيئا" واضحا" يمكن ان تسند اليه هذه الصفة . وبالعكس ، فقد رأينا أنفسنا أمام روضة يانعة حافلة بمزيج رائع من الآراء والنظريات ، التي تشع بالأيمان والخشوع ، وتشهد لصاحبها بسلامة العقيدة ، وصدق الطوية ، والبعد التام عن كل ما يمكن ان يوسم بالخروج أو الألحاد) (عنان : ص ١٥٢) .

أما تهمة الزندقة التي نسبت الى ابن الخطيب ، وبنيت على اتهامه بالقول بالحلول والاتحاد ، انما هي تهمة باطلة من أساسها ، وذلك بالاستناد الى ما ورد في قول ابن الخطيب ذاته . يقول (جدرة الاتحاد والحلول : وهما من مقالات النصارى ، وان الالهية حلت في عيسى واتحدت به ، وبذلك يبرىء الأكمه وألأبرص ، ويحي الموتى، وهذا لا يكون الا بالقدرة القديمة ، وهو باطل . ومن ادلته العقلية : أما الحلول فيلزم منه الافتقار ، والحاجة الى محل ، والممارسة والانتقال ، وهذه من صفات الاجسام .

وأما الاتحاد فتقرر الرد عليه : ان الثنوية اذا اجتمعت ، ان هي بقيت فلم تتحد ، وان زالت فلم تجتمع، وان أرادوا ان الصفة التي هي القدرة القديمة حلت أو اتحدت فمزايلة الصفة القديمة ، لموصوفها محال في العقل ، ولا يصح عليها الحلول ، ولا اتحاد بجسم ، ولا انتقال للجسوم) (عنان : ص١٥٤) .

ان اتهام ابن الخطيب بهذا الموضوع ، هو امر مدبر للقضاء عليه ، سيما وان مليكه وخصومه ، كانوا يرونه خارجا" عنهم وليس منهم . ومضوا في سعيهم لمطاردته واهلاكه على الرغم من انه كان بعيدا" عنهم، وفي بلاد هي بعيدة عن بلاد الاندلس ، فبعد ان احرقت كتبه ، سجل القاضي أبو الحسن عليه تهمة الالحاد والزندقة ، وصادق السلطان الغني بالله على الحكم . وقرر بلاط غرناطة السعي لدى بلاط فاس لتنفيذ هذا الحكم، فأرسل القاضي رسالة بهذا الى السلطان عبد العزيز ، وهو بتلمسان يطالب تنفيذ حكم الشرع في الوزير المنفي ابن الخطيب ، وهو الأعدام ، فلم يوافق السلطان على ذلك ، و قال لرسل ألأندلس (هلا نفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم ، وأنتم عالمون بما كان عليه . و أما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان في جواري) ، فعاد الرسل الى الاندلس خائبين ، واما ابن الخطيب فزادت رعايته والاهتمام به من قبل السلطان المغربي .

بعد وفاة السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٤ هـ تغير الحال واصبح ابن الخطيب في وضع لايحسد عليه فقد استمر خصومه في مطاردته ومتابعته وبمساعدة ودعم مليكه السابق الغني بالله لهم، هذا جانب اما الجانب الآخر فان الاحوال السياسية في المغرب انذاك لم تكن في صالح ابن الخطيب، وكانت النتيجة في النهاية ان القي القبض على ابن الخطيب في فاس، وبعد ذلك بذل الغني بالله جهدا" كبيرا" للقضاء عليه، اما ابن الخطيب فتوالت صيحاته واستنجاده بمن كان يعرفهم لخلاصه، وطلب الالتماس له عند مليكه السابق الغني بالله، ولكن كل محاولاته باءت بالفشل حتى كانت نهايته ومصرعه في أوائل ربيع الثاني عام ٧٧٦ هـ بعد ان دخل عليه في سجنه بعض الأوغاد من حاشية الوزير سليمان بن داود ، وبتوجيه منه، ومعهم بعض الخدم الاندلسيين الذين جاءوا مع سفراء ابن الأحمر ، وقتلوه خنقا"في سجنه. وهكذا ذهب الكاتب والمفكر الكبير، ضحية الجهالة والتعصب، والاحقاد السياسية الوضعية (ابن خلدون: ص ٣١٨).

وينقل الينا ابن خلدون أبياتا" من الشعر التي نظمها ابن الخطيب في سجنه وقبيل مصرعه ، وكان ينشدها متوقعا" نهايته المحزنة والمؤلمة وهي :

بعدنا وان جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما" فصرنا عظاما وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا غربن فناحت عليها البيوت
فكم جذلت ذا الحسام الظّبا وذو البخت كم جدّلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة فتى" ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منهم له فقل يفرح اليوم من لا يموت

العوامل التي أدت الى تكوين ونضج الجوانب الفكرية عند ابن الخطيب:

بعد دراسة واطلاع الباحث على الحياة التأريخية للسان الدين ابن الخطيب ، وجد من المناسب ان يستنبط ويستعرض بعض العوامل التي ساعدت في تكوين ونضج الجوانب الفكرية عنده وهي كما يأتي :

٢٠١ نشأته : نشأ ابن الخطيب وترعرع في سني حياته الاولى في مدينة غرناطة ، ابرز المدن الاندلسية ، ذات الموقع الستراتيجي المهم ، والجميل ، وكانت مدينة غرناطة تشتهر ببساتينها اليانعة والغناء ، وتفخر بعمرانها الكبير ، فكانت انموذجا" بديعا" للعمارة الإسلامية ، وكانت غرناطة الإسلامية تعد جنة من جنات الدنيا ، تتخللها الطرق والميادين الفسيحة .

ان جمال الطبيعة الخلابة هذه ، والتي عاش فيها لسان الدين ابن الخطيب لربما قد ساهمت في اثراء فكر ابن الخطيب ، وتركت بصماتها فيه والتوجه الجاد والواعي نحو التألق والظفر في ميادين الحياة الفكرية والعلمية .

٢٠٢ اسرته : كانت اسرة لسان الدين ابن الخطيب ثرية ومترفة ، وأفرادها ذو توجه قيادي واداري وعلمي ، فكان جده سعيد عالما" ورعا" ، وكان والده يشغل مناصب مهمة وبارزة في القصر السلطاني ، ووسط هذا الجو العائلي وتطلعاته نشأ ابن الخطيب وترعرع ، ونشأت معه تطلعاته بتأثير من هذا الوسط الأسري والبيئي ، وهذا ما حصل بالفعل ، حيث صار ابن الخطيب خير خلف لخير سلف عندما استلم المواقع المهمة مكان أبيه بعد وفاته، حيث ذاع صيته ونجاحه .اذن البيئة الصالحة والعمل على تحسينها من جميع جوانبها بدون انقطاع يؤدي الى تحسين مستويات أداء الأفراد ، واستثمار اكبر ما يمكن من امكانياتهم الفسلجية المخية المتماثلة عند جميع الأفراد الأسوياء (ألآلوسي ، وخان : ص٢٧) .

٢٠٣ تأثره باستاذه الكبير ابن الجياب : تفاعل ابن الخطيب بدافعية وايجابية عالية مع استاذه الكاتب الشاعر المبدع ابن الجياب حيث تلقى على يديه أرفع اساليب النظم والنثر في ذلك العصر ، فظهرت براعته ، وازدادت مهارته في الأداء ، وتفتحت مواهبه حتى صار مرشحا" ليكون خلفا" لاستاذه العظيم ابن الجياب ، وهذا ماحصل بالفعل اذ تولى ابن الخطيب رئاسة الكتاب بعد وفاته .

٢٠٤ الاستعدادات الفطرية : كان ابن الخطيب يمتلك استعدادا" طبيعيا" عاليا" للتعلم قاده الى التفاعل مع الحياة والتفاعل مع البيئة التي عاش فيها ، ومكنته من النجاح والتألق في اثناء ممارسته لعمله ، وتألقه الفكري في كثير من الميادين والمجالات التي عمل فيها . حيث يرى علماء النفس ان الطفل عندما يكون في المجتمع لا يمكن ان يكون في عزلة عنه أو محايدا" أزاء منجزاته المادية والفكرية بل لابد ان يتفاعل معها وينمو باستعماله ، ويعبر عن نشاطه بواسطتها ، كما يفعل غيره من الراشدين ، وعن طريق ذلك تتكون قدراته العقلية الخاصة ، وتنشأ وظائفه العقلية العليا ، ويرتبط بمجتمعه ووطنه (الآلوسي ، وخان : ص ٢٧) .

كما ان الوراثة والبيئة تؤثران في الكائن الحي منذ اللحظة الأولى لتكوينه ، وان الوراثة لا تؤثر في السلوك بطريق مباشر ، ولكن تؤثر فيه عن طريق التكوينات الجسمانية ، وهذه التكوينات هي التي تحدد امكانية تفاعل الكائن الحي مع بيئته ومدى هذا التفاعل ، ولايضاح اثر البيئة ، خاصة في عملية النمو، يجب ان نعرض أثر البيئة الاجتماعية أو الثقافة في نمو الانسان (الآلوسي،وخان :ص ١٢٣) .

ان الاتجاه الغالب الآن بين علماء النفس هو أن خصائص السلوك الأنساني وطبيعة سماته لاترجع الى عامل الوراثة وحدها أو الى عامل البيئة وحدها ، وانما ترجع الى التفاعل بين هذين العاملين فكل منهما يساعد الآخر ويكمله . ومعنى ذلك ان تأثير عامل البيئة يختلف بين الافراد تبعا" لآختلاف ظروف البيئة التي يعيشون فيها ، وانه من الصعب ان نفصل فصلا" تاما" بين أثر كل من الوراثة والبيئة (نجاتي ، ١٩٩٤ : ص٢٢) .وفي النتيجة قد يكون لأبن الخطيب قدرا عاليا" في الوراثة والبيئة مكنته من الوصول الى ما وصل اليه في منجزاته الفكرية والعلمية .

٠٥ الحياة التي عاشها في مدينة سلا ولقائه مع الزاهد أبو العباس بن عاشر : تعد حياة ابن الخطيب في مدينة سلا نقطة مهمة في حياته على الرغم من قصرها ، ففي هذه المدينة برزت شخصية ابن الخطيب الفكرية ، ففيها اكتمل نضجه الفكري وظهر ، فزاد نتاجه وابداعه . وهذا قد يعود الى جملة أسباب منها : جمال المدينة وموقعها الساحر ففيها عاش حالة الهدوء والاستقرار النفسي ، وفيها وجد مأربه لعاطفة الزهد ونبذ الحياة وزخرفها ، وفيها التقى زاهد الأندلس الورع أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر ، الذي كان له أثر في شخصية ابن الخطيب ورؤيته الفكرية ، الا ان هذا لم يمنع ابن الخطيب من أن يأخذ نصيبه في الحياة الناعمة في مدينة سلا التأريخية .

٠٦ تطلعات ابن الخطيب : ان تطلعات ابن الخطيب وطموحه نحو التفوق والنجاح في الحياة جعل أداؤه يكبر وعزيمته تزداد لأن هذا له علاقة بالحاجات الأنسانية للفرد حيث ان (الحاجات التي تؤثر في مستوى الأداء هي : التفوق ، التحصيل ، الثناء والمدح ، تجنب الفشل ، الاستعراض ، الحفاظ على السمعة ، تجنب فقدان الاحترام) (الأزيرجاوي : ص ٥٣) . وعلى هذا الأساس يمكن عد طموح ابن الخطيب وتطلعاته هي أحد المحفزات التي كونت فكره بهذا الشكل .

الجوانب الفكرية عند لسان الدين ابن الخطيب :

آ . ابن الخطيب الكاتب والشاعر:

عدّ ابن الخطيب من أعظم كتاب الأندلس و وشعرائها ، وبلغ في النظم، والنثر مرتبة عالية في النجاح والتفوق. وأهم مايميز شعره ونثره هو تنوعه، والتفنن في الموضوعات والمعاني، وهذا يعود الى خياله الخصب، وافقه الواسع ، وحياته المتنوعة المليئة بالأحداث والمحن التي عاشها.

وتعد رسائل ابن الخطيب السلطانية من أروع نماذج النثر الدبلوماسي في الاندلس ، والغرب الإسلامي، وتميز ابن الخطيب على اساتذة الترسل السلطاني والدبلوماسي في مصر والشرق الإسلامي بفنه الرائع والمتنوع ، والديباجة المشرقة ، والأسلوب الرفيع الجزل الرائق ، بالرغم من جريانه على طريقة السجع المطلق (عنان : ص ٢٠١) .

كان ابن الخطيب كاتبا" وشاعرا" ، وقد بلغ القمة في النثر والنظم معا" ، وكان أعظم كاتب ، وأعظم شاعر في الغرب الإسلامي ، في القرن الثامن الهجري ، وقد برع في جميع صنوف النظم المعروفة ، وترك من النظم تراثا" زاخرا" ، وكان له في كل فن من فنون النظم قصائد ومقطوعات من أروع ما عرف في ميدان

الشعر الأندلسي . وقد برع في المدائح النبوية ، والمدائح السلطانية ، وترك منهما أرق واروع النماذج المعروفة في هذين الفنين ، فقال قصيدة في مدح الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم نقتطف منها هذه الأبيات :

مـــدحتك آيـــات الكتـــاب فمـــا عســـى يثنـــى علـــى عليـــاك نظـــم مـــديح
واذا كتـــــاب الله أثنـــــى مفصـــــحا كـــان القصـــور قصـــار كـــل فصـــيح
صـــلى الله عليـــك مـــا هبـــت صـــبا فهفـــت بغصـــن فـــي الريـــاض مـــروح
واســـتأثر الـــرحمن جـــل جلالـــه عـــن خلقـــه يخفـــي ســـر الـــروح

وقال قصيدته التي بعثها الى السلطان أبي سالم بمناسبة المولد النبوي الشريف سنة ٧٦٣ هـ والتي قال فيها :

تألق نجديـا" فأذكرني نجدا وهاج بي الشوق المبرح والوجدا
وميض رأى برد الغمامة معقلا فمد يدا" بالتبر أعلمـت البردا

(ابن الخطيب : ترجمته لنفسه : ص ٣٠٥) .

وترك ابن الخطيب مجموعة من القصائد في نظم المدائح السلطانية ومنها ، قصيدته في مدح السلطان الغني بالله سنة ٧٦٣ هـ ومطلعها :

الحق يعلو والأباطل تسفل والله عن أحكامه لا يسئل

ومنها قصيدته التي القاها بين يدي السلطان أبي سالم ، والتي تعد من أشهر قصائده وأروعها ومطلعها :

سلا هل لديها من مخبرة ذكر وهل أعشب الوادي ونم به الزهر

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى : وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات سنة ٧٦١ هـ فأنشدت في الحال :

قد زرت قبرك عن طوع بأغمـات رأيت ذلك من اولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يـدا" ويا سراج الليالي المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه الى حياتي لجادت فيه أبياتي

(المقري : م / ٤ ، ص ٩٨) .

وما أحسن قول لسان الدين في مدح تلمسان اذ قال :

حيّا تلمسان الحيا فربوعهـا صدف يجود بدره المكنـون
ما شئت من فضل عميم أن سقى أروى ومنّ ليس بالمنـون
أو شئت من دين اذا قدح الهدى أورى ودنيا لـم تكن بالدون
ورد النسيم لها بنشر حديقـة قد ازهرت أفنانها بفنـون
واذا حبيبة ام يحيى أنجبـت فلها الشفوف على عيون العين

يعني بحبيبة أم يحيى عين ماء بتلمسان من أعذب المياه وأخفها ، وكانت جارية بالقصور السلطانية (المقري : م/ ٧ ، ص ١٢٩) .

وكان ابن الخطيب من أئمة الموشحات الأندلسية ، ومن أشهرها ، موشحته المشهورة التي مطلعها :

جادك الغيث اذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأنـدلس
لم يكن وصلك الا حلمـا في الكرى أو خلسة المختلس
اذ يقود الدهر أشتات المنى ينقل الخطو على ما يرسـم
زمرا بين فرادى وثنـا مثل ما يدعوا الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا فثغور الزهر منه تبتسـم

(المقري : م / ٧ ، ص ٦٨) .

ولابن الخطيب ابداع آخر ، هو الابداع في مجال الزجّل ، فكان امام الزجل ، وقد مارسه وأبدع فيه ومن هذه الازجال التي قالها ابن الخطيب نقتطف هذه المقطوعة وهي :

بين طلوع وبين نزول اختلطت بالغزول ومضى من لم يكن وبقي من لم يزل
أنا ليس لشكر خليـع ان ثمل وان صحا
حتى يقطع في التقطيع ويدور بحال رحا
ان ثبت جرى سريـع وشرب حتى استحا

كان ابن الخطيب قطب الشعر والنثر في عصره ، وكان محور الحركة الفكرية الأندلسية كلها ،. فقد قال المستشرق مورينو نييتو (moreno nieto) في وصف ابن الخطيب وتراثه ما يأتي (لا يوجد في تاريخ غرناطة الأدبي ، ما يمكن أن يقارن بهذا الكاتب الخصيب ، فقد كانت معرفه موسوعة حقة ، وعبقريته تدعو الى الاعجاب . وكانت معارفه العلمية عظيمة ، وقلما حظى اسلوب كاتب مثله ، بما حظى اسلوبه من البلاغة والرشاقة (عنان : ص ٢١٣) .

ب . رؤية ابن الخطيب الى التاريخ :

ان اهم ما يميز منهج ابن الخطيب التأريخي ، هو نظرته الواضحة في ان التاريخ يجب ان لايقتصر على الحياة السياسية لبلد أو اسرة ما ، وانما يجب ان يشتمل ايضا" على التاريخ الشعبي ، والخصائص الجغرافية، والأنظمة التي يعيش في ظلها الشعب المعني ، وحياته المعنوية وعاداته وثقافته ، ومدى تقدمه الاقتصادي .

وفي التصنيف الأدبي فان الصفة الغالبة في كتابات ابن الخطيب هي صفة المؤرخ . فقد وضع أهم كتبه في التاريخ ، والتاريخ المعاصر بشكل خاص . ومؤلفاته التاريخية من أقيم ما كتب في تاريخ الأندلس والمغرب في القرن الثامن الهجري .

ان نظرية ابن الخطيب في فهم التاريخ نظرية عادية ، لا ترتقي الى مستوى النظرية العلمية الاجتماعية التي قدمها ابن خلدون . ويلخص ابن الخطيب فهمه للتاريخ على النحو الآتي : (ولما كان الفن التأريخي مأرب البشر ، ووسيلة الى ضم النشر ، يعرفون به أنسابهم في ذلك شرعا" وطبعا" ما فيه ، ويكتسبون به عقل التجربة في حال السكون والرفيه ، ويستدلون ببعض ما يبدي الدهر وما يخفيه ، ويرى العاقل من

تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره بالايمان ويشفيه ، ويمر على مصارع الجبابرة فيحسبه بذلك واعظا" ويكفيه ، وكتاب الله يتخلله من القصص ، ما يتم الشاهد لهذا الفن ويوفيه) (ابن الخطيب : ص ٨٩) .

وعلى ذلك يقول محمد عبدالله عنان ان فهم ابن الخطيب للتاريخ ، هو انه أداة لنقل الأخبار ، وذكر السير والآثار ، وتخليد الفضائل ، ومعرفة الأنساب ، واكتساب السياسة والتجارب ، والاعتبار بحوادث الدهر ، والاتعاظ بمصارع الجبابرة ، أو بعبارة أوجز ، فان التاريخ وسيلة لتدوين حوادث الماضي ، لتعتبر بعظاتها الأجيال اللاحقة (عنان : ص ٢١٨) .

ويذكر ابن الخطيب الى ان أهمية التاريخ تأتي أيضا" من كونه يقدم للناس القدوة الحسنة ، والعبر المختلفة ((من اعداد أمر ، واتيان محمدة ، واجتناب مذمة ، واستحضار حجة ، وتمسك في الكمال بسبب)) . ويستشهد ابن الخطيب بما خص الله تعالى في كتابه ، التاريخ من اطراء ، فقد قال الله تعالى : ((لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا" يفترى)) وقال : ((نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القران ، وان كنت من قبله لمن الغافلين)) .

وبالاضافة الى رؤية ابن الخطيب الى التاريخ في كونه رواية ، واداة لتدوين السير ، والاعتبار بالحوادث الماضية ، فانه لايقف عند هذا الفهم المحدود بل تجاوزه أحيانا" الى ما يشبه المنهج النقدي ، فالى جانب ما يدون من أحداث سياسية وعسكرية ، وسير الملك ، فانه يتحدث عن الخصائص الجغرافية للاقليم وعن تقاليده وأخلاقه وأساليب الحياة ،وعن الاحوال الاقتصادية والزراعية والصناعية .

وهناك خاصة اخرى تمتع بها ابن الخطيب في كتابة التاريخ ، وهي خاصة التثبت والتحقق . ويبدوا ذلك بشكل خاص من خلال ما كتبه عن تاريخ عصره . واما بشكل عام فان ابن الخطيب كان وثيق الاطلاع على تواريخ المغرب والاندلس ، وهو الميدان الذي تخصص في كتابته (عنان : ص ٢٢٠) .

ج . رؤية ابن الخطيب الى الجغرافية :

كانت لابن الخطيب جولات في الميدان الجغرافي ، وكان نشاطه يدخل في نوع خاص من الجغرافية الوصفية ، أو بتعبير آخر جغرافية الرحلات . وفي مكان آخر يقترب فيما كتبه من الجغرافية الصرفة ، وهذا القسم الذي تحدث في عن وصف اقليم غرناطة ضمن الفصول التي مهد بها لكتاب الاحاطة ، وهذا القسم الجغرافي من كتاب الاحاطة تألف من اربعة فصول ففي الفصل الاول تحدث عن الحقول والجنات التي تحيط بحضرة غرناطة ، وما تمتاز به من الجمال والنضرة . وفي الفصل الثاني وفي الفصل الثاني تحدث عن سهل غرناطة الفسيح ، وما يزخر به من من كروم وحدائق الفاكهة ، والحصون ، كما تحدث عن وصف الوادي الذي يحيط بغرناطة من جهاتها الثلاث ، واشراف الجبل على ناحيتها الرابعة وهكذا .. وفب الفصل الثالث تحدث عن دور غرناطة وضياعها واملاكها الملاصقة وفي الفصل الرابع تحدث عن انساب أهل غرناطة وعاداتهم وأجنادهم وأزيائهم ، وعن نسائهم ، وما يولعن به من حب استكمال الزينة ، ويعد هذا نوع من الجغرافية الاقتصادية والاجتماعية .

وبالاضافة الى ذلك فان ابن الخطيب وصف عدد من الرحلات التي تتسم بالطابع الجغرافي ، وخاصة رحلته الرسمية التي قام بها مع السلطان أبي الحجاج يوسف سنة ٧٤٨ هـ ، حيث وصف سيرها وصفا"

دقيقا" ومفصلا" ، حيث كان وصفه أقرب الى الطابع الجغرافي منه الى الطابع الادبي . وهكذا فان ابن الخطيب في كل رسائله التي تتناول الرحلات التي شارك فيها كان بارعا" في الوصف الدقيق والواضح والمشوق والتي يغلب عليها الطابع الجغرافي .

د . ابن الخطيب والطب :

لقد تناول ابن الخطيب في مؤلفه (عمل من طب لمن حب)مختلف الأمراض ، وأسباب كل مرض ، وبين أعراضه ، وطرق علاجه ، وتحوطاته ، وبيّن نظام الغذاء الذي يناسبه . ويعد هذا الكتاب من أهم مؤلفاته في الطب ، ويقال انه كتبه في عام ٧٦١ هـ وهو على جزئين :

الأول : يتناول وشرح الأمراض المعينة ، مثل الصداع ، وأورام الرأس والكابوس والصرع ، وأمراض العصب، وأمراض العيون ، والصمم ، ، والطرش ، وآلام التنفس ، وأمراض القلب ، وأمراض المعدة والطحال والبطن والأمعاء ، والكلى والمثانة وغيرها .

الثاني : يتناول الأمراض التي لا تخص عضوا" معينا" مثل الحميات ، وألأورام ، والجراحات ، وأمراض الجلد والبدن ، واليدين والرجلين .

ولأبن الخطيب أرجوزة في الطب ، ذكرها ضمن مؤلفاته التي الّفها في مدينة سلا ، وقال انها تقع ضمن (١٦٠٠) بيت ، وتتضمن ذكر جميع الأمراض الكلية والجزئية ، وذكر أسبابها وأعراضها ، وتدبيرها ، وتطبيق العلاج بحسب أحوالها .

ولأبن الخطيب كتاب في علاج السموم هو (الأرجوزة المعلومة) . وله أرجوزة في الأغذية ، وهي تقع بنحو (١٢٠٠) بيت ، تتضمن ذكر الأغذية مرتبة على حروف المعجم ، وطباعها ، ومنافعها ، ومضارها ، واصلاح خللها . ولأبن الخطيب أيضا" رسائل طبية مثل ، رسالة تكوين الجنين ، وكتاب البيطرة ، ورسالة عن مرض الطاعون عنوانها (مقنعة السائل عن المرض الهائل) مبينا" فيها ، أعراضه ، وروعة انتشاره) ، وغيرها (عنان : ٢٧٩) .

هـ .مؤلفات ابن الخطيب :

بلغت مؤلفات ابن الخطيب زهاء (٦٠) كتابا" ورسالة ، ومن أهمها : اللمحة البدرية في الدولة النصرية، والحلل المرموقة ومثلى الطريقة ، والسحر والشعر ، وريحانة الكتّاب ، وكتاب المحبة ، والصّيب والجهام (مجموعة شعرية) ، ومعيار الأختبار ، ومفاضلة بين مالقة وسلا ، ورسالة الطاعون ، ونفاضة الجراب ، وكتاب الوزارة ومقامة السياسة ، وكتاب الآحاطة ، وغيرها من المؤلفات (ابن الخطيب ، الاحاطة : ص ٣٠٠) .

فلسفة السياسة عند ابن الخطيب :

اشتهر ابن الخطيب كسياسي ، وكلمة (سياسة) تعني عند فلاسفة العرب (تلافي الخلل واصلاح الفاسد) (الحلي : ص ٨١) . وقد كتب ابن الخطيب رسالة في السياسة الملكية ، بيّن فيها واجبات السلطان ، وصفات الوزير الصالح ، واحوال الجند ، والعمال ، والسياسة المنزلية أو الخاصية ، وأحوال

الخدم ، والحرم، وقد أورد ابن الخطيب فصولا" في صورة مقامة بطلها الخليفة هارون الرشيد .و ارتأى الباحث في هذا المبحث ان يسلط الضوء على هذه الرسالة الأصلاحية والتربوية في نفس الوقت . قال ابن الخطيب : سهر الرشيد في احد الليالي ولم يستطع ندماؤه جلب الراحة اليه ، فأمرهم ان يذهبوا في طرق سماها ورسمها لهم في المدينة ، وان يأتوا بأي شخص يصادفونه ، وعند تنفيذهم الواجب صادفهم شيخا" طويل القامة يرتدي ثوبا" مرقع ، وأتوا به الى الرشيد ، فلما دخل عليه ، سأله الرشيد أسئلة شخصية فأجاب عليها اجابة المتمكن، وسأله عن فنه (فقال الحكمة فني الذي جعلته أثيرا" ، واضجعت منه فراشا" وثيرا" ، وسبحان الذي يقول ، ومن يؤت الحكمة ، فقد اوتى خيرا" كثيرا" ، وما سوى ذلك فتبع ، ولي فيها مصطاف ومرتبع) فقال الرشيد (ما رايت كالليلة اجمع لأمل شارد ، وانعم بمؤانسة وارد ، يا هذا اني سائلك ، ولن تخيب بعد رسائلك ، ما عندك في هذا الأمر الذي بلينا بحمل أعبائه ، ومنينا بمراوضة ابائه) ويقصد الخليفة بذلك مسؤوليته في الخلافة ، فرد واصفا" مسؤوليته وعمله بانها ثقيلة وكبيرة حيث قال :هذا الأمر قلادة ثقيلة ، ومن خطة العجز مستقيلة ، ومفتقرة لسعة الذرع، وربط السياسة المدنية بالشرع ، يفسده الحلم في غير محله، ويصلحه مقابلة الشكل بشكله ، (ومن لم يكن سبعا" آكلا" ، تداعت سباع الى أكله) وبعد هذا الوصف لعمل الخليفة ، طلب الخليفة منه ان يتكلم بالتفصيل عن :

١٠ الرعيـة :

ماهيتها وكيفية التعامل معها :

قال الرجل واصفا" ايّاها، بأنها ودائع الله سبحانه وتعالى ، وهي مرآة العدل ، ولا يمكن ضبطهم الا بأمانة الله تعالى ، فادعو الله أن تكون عونا" لهم ، وتسد حوائجهم ، وابدا بتقويم نفسك ان أردت تقويمهم ، فاحرص عليهم واسهر على حراسة كبيرهم وصغيرهم ، وارض بالسهر لتنويمهم ، وحراسة كهلهم ورضيعهم، والترفع عن تضيعهم ، وتعامل مع مستوياتهم وطبقاتهم وفق خصوصيتها بما عليها من واجبات وما لها من حقوق،(حتى تستشعر عليتها رأفتك وحنانك ، ، وتعرف اوساطها في النصب امتنانك ، وتحذر سفلتها سنانك، وحظّر على كل طبقة منها ان تتعدى طورها ، أو تخالف دورها ، أو تجاوز بأمر طاعتك فورها) ، وامنع أغنيائها من البطر والبطالة ، والنظر في شبهات الدين بالتمشدق والاطالة ، وانههم من التحاسد على المواهب، وأقنعهم على الانفاق بقدر الحال ، وحظّر البخل على ألميسورين ، والسخاء على المعسرين ، (وخذهم من الشريعة بالواضح الظاهر ، وامنعهم عن تأويلها منع القاهر ، ولا تطلق لهم التجمع على ما أنكروا أمره في نواديهم ، وكفّ عنهم أكف تعديهم ، ، ولا تبح لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم) ، وقدم منهم من أمنت عليهم مكره، وحمدت على الانصاف شكره ، ومن كثر حياؤه من التأنيب ، وقابل الهفوة باستنابة المنيب ، ومن لا يتخطى عن محله الذي حله ، (وحسّن النية لهم بجهد الاستطاعة ، واغتفر المكاره في جنب حسن الطاعة ، وان ثار جوادهم واختلف في طاعتك مرادهم ، فتحصن لثورتهم ، واثبت لفورتهم ، ، فاذا سألوا وسلوا ، وتفرقوا وانسلوا ، فاحتقر كثرتهم ولا تقل عثرتهم ، واجعلهم لما بين أيديهم وما خلفهم نكالا ، ولا تترك لهم على حلمك اتكالا) .

ويمكن استخلاص بعض مما يجب عن كيفية التعامل معهم في هذا المجال وكما يأتي :

. العمل على ضبطهم وفق ما أمر الله سبحانه وتعالى به .

. العمل على ابداء العون والمساعدة لهم .

. تقويم نفسك أولا" عندما تريد تقويمهم .

. الحرص والسهر على رعاية كبيرهم وصغيرهم .

. التعامل مع كل فئة منهم بمالها وما عليها .

. منع أعيانهم من البطر والبطالة .

. اقناعهم بالانفاق على قدر الحال .

. تعويدهم اتباع الحق وتجنب الباطل .

٠٣ الوزير العالم :

آ . أهميته :

أما أهمية الوزيرفقال مخاطبا" الخليفة بأنه: (أفضل عددك ، وأوصل مددك ، وهو الذي يصونك من الابتذال ، ومباشرة الانذال .، ويثب لك على الفرصة ، وينوب في تجرع الغصة ، واستجلاء القصة ، ويستحض ما نسيته من أمورك ، ويغلب فيه الراى بموافقة مأمورك ، ولايسعه ما تمكنك المسامحة فيه ، حتى يستوفيه) . ونبه الرجل الخليفة بأن يأخذ الحيطة منه قائلا" (واحذر مصادمة تياره ، والتجوز في اختياره ، وقدم استخارة الله تعالى في ايثاره ، وارسل عيون الملاحظة في آثاره) .

بـ . اختياره :

أما بشأن عملية اختياره فقال: يجب ان يكون معروفا" بالاخلاص لدولتك ، معقود الرضاء والغضب برضاك وصولتك ، زاهدا" عما في يديك ، مؤثرا" لكل ما يزلف لديك ، بعيد الهمة ، راعيا" للاذمة ، كامل الالة ، محيطا" بالايالة ، رحب الصدر ، معروف البيت ، مؤثرا" للعدل والاصلاح ، دربا" بحمل السلاح ، ذا خبرة بدخل المملكة وخرجها ، جادا" عند لهوك ، متيقضا" في حال سهوك ، فاطلب منه سكون النفس وهدوئها ، وان لايرى منك رتبة الا راى قدره دونها.

ج : كيفية التعامل معه :

وفي موضوع التعامل معه قال : عليك ان تجعل حظه من نعمتك موازيا" لحظك من حسن رأيه ، (واجتنب منهم من يرى في نفسه الى الملك سبيلا ، أو من كاثر مالك ماله ، أو من تقدم لعدوك استعماله ، أو من سمت لسواك آماله ، ، أو من يعظم عليه يعرض عليه اعراض وجهك ، أو من يداخل غير أحبابك ، أو منينافس أحدا" ببابك).

ويمكن استخلاص بعض مما يجب عن كيفية التعامل معه وكما يأتي :

. العمل على ان يكون هادىء النفس مستقر الحال .

. العمل على كسبه والحذر في مخالفته وإرسال عيون الملاحظة في آثاره .

. العمل على أعانته ومساعدته .

. مراعاة حسن اختياره ، بان يكون رحب الصدر والطاعة والشجاعة والإخلاص والقناعة والعدل ومعروف البيت والإصلاح .

٣٠٤ الجنـــد :

آ . كيفية التعامل معهم :

أما بشان مايجب عمله تجاه الجند قال : (فاصرف التقديم منهم للمقاتلة والمكايدة والمخاتلة ، واستوف عليهم شرائط الخدمة ، وخذهم بالثبات للصدمة ، ووف ما أوجبت لهم من الجراية والنعمة ، وتعاهدهم عند الغناء بالعلفة والطعمة ، ولا تكرم منهم الامن أكرمه غناؤه) ، وأشار الى أهمية النباهة عند اختيار القادة عليهم ، والى ضرورة الاهتمام بهم ومراقبتهم ، فقال (وول عليهم النبهاء من خيارهم ، واجتهد في صرفهم عن الافتتان بأهليهم وديارهم ، وقدمهم على حصصك وبعوثك متى أردت جهادا ، ولا تلين لهم في الاغماض عن حسن طاعتك قيادا ، ، ولا تسمح لأحد منهم في اغفال شيء من سلاح استظهاره ، أو عدة اشتهاره ، وليكن ما فضل من شبعهم وريهم ، ، مصروفا" الى سلاحهم وزيهم ، والتزيد في مراكبهم وغلمانهم ، من غير اعتبار لأثمانهم ، وامنعهم من المشغلات والمتاجر ، وما يتكسب منه غير المشاجر ، وليكن من الغزواكتسابهم ، وعلى المغانم حسابهم) . وقال له (احذر من منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع ، ولم يستحي من التزيد بأضعاف ما بذله من الدفاع ، وشكا البخس فيما تعذر عليه من فوائدك ، وقاس بين عوائد عدوك وعوائدك ، وتوعد بانتقاله عنك وارتحاله ، وأظهر الكراهية لحاله).

بـ . نتائج هذا التعامل :

قال الرجل مخاطبا" الخليفة اذا وفرت هذا لجندك فتراهم يتقدموك الى المواقف الصعبة مطيعين واثقين بانفسهم ، وعليك ان تستبق (الى تمييزهم استباقا ، وطبقهم طباقا ، أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك أخطارا ، وابعدهم في مرضاتك مطارا ، واضبطهم لما تحت يده من رجالك حزما" ووقارا، واستهانة بالعظائم واحتقارا ، وأحسنهم لمن تقلده أمرك من الرعية جوارا ، اذا اجدت اختبارا ، واشدهم على مماطلة من مارسه من الخوارج عليك اصطبارا ، ومن بلى في الذي عنّ لك احلاء وامرارا ، ، ولحقه الضر في معارض الدفاع عنك مرارا ، وبعده من كانت محبته لك أزيد من نجدته ، وموقع رأيه أنفع من موقع صعدته ، وبعدهما من حسن انقياده لأمرائك واحماده لآرائك ، ومن جعل نفسه من الأمر حيث جعلته ، وكان صبره على ما عراه أكثر من اعتداده بما فعله) .

ويمكن استخلاص بعض مما يجب اتباعه بشأنهم وكما يأتي :

. العمل على تقوية استعداداتهم وزيادة مهاراتهم وتدريبهم لخوض المعارك والقتال .

. تزويدهم بما يحتاجون اليه من المؤن والعدة والسلاح .

. اختيار النبهاء من أخيارهم لتولي القيادة عليهم .

. تعويدهم عدم التفاخر بأهليهم وبلادهم .

. العمل على نهيهم عن العمل في التجارة والتفرغ لعملهم وتعويدهم على كسب حصصهم من الغنائم .

. العمل على ضبطهم برجال ذوي حزم ووقار .

. التعامل بحذر وانتباه من الطمّاعيين منهم

٠٤ العمال :

أهميتهم وكيفية التعامل معهم :

أما بشأن العمال فأنهم ينبئون عن مذهبك ، وحالهم في الغالب شديدة الشبه بك ، فعليك أن تعرفهم في امانتك السعادة ، وتلزمهم في رعيتك العادة ، وتكرمهم بحسب مواقعهم في الاتصاف ،(بالعدل والانصاف ، واحلهم من الحفاية ، بنسبة مراتبهم من الامانة والكفاية ، وقفهم عند تقليد الأرجاء ، مواقف الخوف والرجاء، وقرر في نفوسهم ان أعظم ما به اليك تقربوا ، وفيه تدربوا ، وفي سبيله أعجموا واعربوا ، اقامة حق ، ودحض باطل ، وكفهم من الرزق الموافق ، عن التصدي لدنىء المرافق ، واصطنع منهم من تيسرت كلفته ، وقويت للرعايا الفته ، ومن زاد على تأميله صبره ، واربى على خبره خبره ، وكانت رغبته في حسن الذكر، تشف على غيرها من بنات الفكر) .

كما أوصاه بأن يجتنب منهم ، (من يغلب عليه التخرق في الانفاق وعدم الاشفاق ، والتنافس في الاكتساب، وسهل عليه سوء الحساب ، وكانت ذريعته المصانعة بالنفاية ، دون التقصي والكفاية ، ومن كان من منشأه خاملا" ، ولاعباء الدناءة حاملا" ، وابغ من يكون الاعتذار في أعماله أوضح من الاعتذار في أقواله ، ولا يفتننك من قلدته اجتلاب الحظ المطمع ، والتنفق بالسعي المسمع ، ومخالفة السنن المرعية ، واتباعه رضاك بسخط الرعية ، فانه قد غشك ، من حيث بلك ورشك ، وجعل من يمينك في شمالك ، حاضر مالك ، ولا تضمن عاملا" مال عمله ، وحل بينه فيه وبين أمله ، فانك تميت رسومك بمحياه ، وتخرجه من خدمتك فيه الا ان تملكه اياه، ولا تجمع له بين الاعمال ، فيسقط استظهارك ببلد على بلد ، والاحتجاج على والد بولد ، واحرص على ان يكون في الولاية غريبا" ، ومنتقله منك غريبا" ، ورهينة لايزال معها مريبا" ، ولا تقبل مصالحته على شيء اختانه، ولو بر غيبة فتانه ، فتقبل المصانعة في أمانتك ، وتكون مشاركا" له في خيانتك ، ولاتطل مدة العمل ، وتعاهد كشف الامور ممن يرعى الهمل ، ويبلغ الامل) .

ويمكن استخلاص بعض مما يجب اتباعه معهم وكما يأتي :

. العمل على اكرامهم بالعدل والانصاف .

. العمل على اسنخدام مبدأ الثواب والعقاب .

. تعويدهم على اتباع الحق وتجنب الباطل .

. توعيتهم بأهمية الأمانة والحرص عليها .

. مراعاة قدراتهم وقابلياتهم في العمل .

. تعويدهم على قوة الصبر والتحمل .

٠٥ تربية الأبناء :

كيفية التعامل معهم وتربيتهم :

وقال عليك بحسن تربية الأبناء ، واجعل طريق الخير غايتهم ومسعاهم ، (وخف عليهم من اشفاقك وحنانك، أكثر من غلظة جنانك ، واكتم عنهم ميلك ، وافض فيهم جودك ونيلك ، ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلك، واثبتهم على حسن الجواب ، وسبق اليهم خوف الجزاء على رجاء الثواب ، وعلمهم الصبر على الضرائر ، والمهلة عند استخفاف الجرائر ، وخذهم بحسن السرائر ، وحبب اليهم مراس الامور الصعبة المراس ، وحسن الاصطناع والافتراس ، والاستكثار من اولى المراتب والعلوم ، والسياسات والحلوم ، والمقام المعلوم ، وكره اليهم مجالسة الملهين ، ومصاحبة الساهين ، وجاهد اهوائهم عن عقولهم ، واحذر الكذب على مقولهم ، ورشحهم اذا آنست منهم رشدا" أو هديا" ، وأرضعهم من الموازرة والمشاورة ثديا ، لتمرنهم على الاعتياد ، وتحملهم على الازدياد ، ورضهم رياضة الجياد ، واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم ، واعداؤك في الحقيقة واعداؤهم ، وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت ، واقرعها كلما هجمت ، قبل ان يظهر تضعيفها ، فان اعجزتك في صغرهم الحيل،عظم الميل .

وقال اذا استطاعوا ان يدبروا امورهم ، (وتشوفوا للمحل الكبير ، اياك ان توطنهم في مكانك جهد امكانك، وفرقهم في بلدانك ، تفريق عبدانك ، واستعملهم في بعوث جهادك ، والنيابة عنك في سبيل اجتهادك ، فان حضرتك تشغلهم بالتحاسد والتباري والتفاسد ، وانظر اليهم باعين الثقات ، فان عين الثقة تبصر ، ما لاتبصر عين المحبة والمبقة) .

ويمكن استخلاص بعض مما يجب عن كيفية اتباعه مع ألأبناء بما يأتي :

. أخذهم بالشفقة والحنان وتعويدهم على فعل الخير .

. التعامل معهم بالترهيب والترغيب والخوف من الجزاء على رجاء الثواب .

. تعويدهم على الصبر عند مواجهة المشكلات والصعوبات .

. تحبيبهم العلم والسعي للوصول الى مراتب متقدمة فيه .

. استخدام الأساليب الارشادية لابعادهم عن مخالطة أقران السوء وتجنب استخدام العادات والأخلاق الذميمة .

. تعويدهم على ممارسة رياضة الفروسية وركوب الخيل .

التعامل معهم بثقة عالية لأنها اساس قوي في توطيد العلاقة معهم .

٠٦ الخدم :

أهميتهم وكيفية التعامل معهم :

اشار الى منزلة الخدم وقال انهم بمنزاة الجوارح التي تفرق بها وتجمع ، وتبصر وتسمع ، فأقنعهم بالصدق والامانة ،وصنهم صون الجمانة ، وخذهم بحسن الانقياد الى ماآثرته ، والتقليل مما استكثرته وكن حذراً" من الذي قويت شهواته ، (وضاقت عن هواه لهواته ، فان الشهوات تنازعك في استرقاقه ، وتشاركك في استحقاقه ، وخيرهم من شر ذلك عنه بلطف الحيلة ، وآداب للفساد مخيله ، وأشرب قلوبهم أن الحق في كل ما حاولته واستنزلته ، وأن الباطل في كل ما جانبته واعتزلته ، وان من تصفح منهم امورك فقد اذنب ، وباين الأدب وتجنب) . وعليك اعطاء واكرام من أتعبته ، (وأضقت منه ملكه وشددته ، روحة يشتغل فيها بما يغنيه ، على حسب صعوبة ما يعانيه ، تغبطهم فيها بمسارحهم ، وتجم كليلة جوارحه ، ولتكن عطاياك

فيهم بالمقدار الذي لايبطر أعلامهم ، ولا يؤسف الاصاغر فيفسد أحلامهم ، ولا ترم محسنهم بالغاية من احسانك ، واترك لمزيدهم فضلة من رفدك ولسانك. وقال عليك ان تحذرهم من مخالفتك ، (ولو في صلاحك بحد سلاحك، وامنعهم من التواثب والتشاجر ، ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهاجر ، وعليك ان تستخلص (منهم لسرك من قلت في الافشاء ذنوبه ، وكان أصبرهم على ما ينوبه ، ولودائعك من كانت رغبته في وظيفة لسانك ، أكثر من رغبته في احسانك ، وضبطه لما تقلد من وديعتك ، أحب اليه من حسن صنيعتك ، وللسفارة عنك من حلا الصدق في فمه وآثره ولو باخطار دمه ، واستوفي لك وعليك فهم ما تحمله ، وعنى بلفظه حتى لايهمله ، ولمن تودعه أعداء دولتك من كان مقصور الأمل ، قليل القول صادق العمل ، ومن كانت قسوته زائدة على رحمته ، وعظمه في مرضاتك آثر من شحمته ، ورأيه في الحذر سديد ، وتحرزه من الحيل شديد ، ولخدمتك في ليلك ونهارك من لانت طباعه ، وامتد في حسن السجية باعه ، وآمن كيده وغدره ، وسلم من الحقد صدره ، ورای المطامع فما طمع ، واستثقل اعادة ما سمع ، وكان بريئا" من الملال ، والبشرعليه اغلب الخلال . وعليك ألا تؤنسهم منك بقبيح فعل ولاقول ، (ولا تؤسهم من طول ، ومكن في نفوسهم أن أقوى شفعائهم ، وأقرب الى الاجابة من دعائهم ، اصابة الغرض فيما به وكلوا ، وعليه شكلوا ، فانك لا تعدم بهم انتفاعا ، ولا يعدمون لديك ارتفاعا) .

ويمكن استخلاص بعض مما يجب عن كيفية اتباعه معهم وكما يأتي :

. العمل على حمايتهم ورعايتهم .

. تعويدهم على قول الصدق والأمانة في العمل .

. العمل على تلبية طلباتهم وحاجاتهم بما لايفسدهم ويفقدهم عملهم .

. استخدام مبدأ الثواب والعقاب .

. ارشادهم وتوجيههم الى اتباع الطاعة والابتعاد عن النواهي ، وعلى حسن التعامل فيما بينهم بالقول والعمل .

. تعويدهم على انجاز العمل لأنه مقياس أساسي لنجاحهم في عملهم .

٧٠ الحرم:

أهميتهن وكيفية التعامل معهن :

وعن الحرم قال هن(مغارس الولد ، ورياحين الخلد ، وراحة القلب الذي أجهدته الافكار ، فاطلب منهن من غلب عليهن من حسن الشيم ، المترفعة عن القيم ، ، ما لايسوءك في خلدك ، ان يكون في ولدك) .واحذر ان تجعل لفكر بشر دون بصر اليهن سبيلا ، وانصب دون ذلك عذابا" وبيلا ، وارعهن من النساء العجز من بانت في الديانة والأمانة سبله ،، وخذهن بسلامة النيات ، والشيم السنيات ، وحسن الاسترسال ، والخلق السلسال ، وحذر عليهم من التغامز والتغاير ، والتنافس والتخاير ، وأس بينهن في الأغراض ، والتصامم عن الاعراض ، والمحاباة بالأعراض . وقال عليك التقليل من مخالطتهن لأنه (أبقى لهمتك ، وأسبل لحرمتك ، ولتكن عشرتك لهن عند الكلال والملال ، وضيق الاحتمال ، بكثرة الأعمال ، وعند الغضب والنوم ، والفراغ من نصب اليوم ، واجعل مبيتك بينهن تنم بركاتك ، وتستر حركاتك ، وافصل من

ولدك منهن الى مسكن يختبر بها استقلالها ، ويعتبر بالتفرد خلالها ، ولا تطلق لحرم شفاعة ولا تدبيرا ، ولا تنط بها من الأمركبيرا ولا صغيرا) .

ويمكن استخلاص بعض مما يجب اتباعه معهن وكما يأتي :

. التعامل معهن بلطف وحنان .

. رعيتهن بالنساء العجز المتدينات .

. تحذيرهن من الغيرة والتغامز .

. تقليل المخالطة معهن .

. لا تولهن من الأمر كبيرا" ولا صغيرا" .

(ابن الخطيب ، رسالة السياسة : ٣٧٦ . ٣٨٨) .

الجوانب التربوية في وصية ابن الخطيب لأبنائه :

لقد ترك ابن الخطيب وصيته المشهورة لابنائه الثلاثة عبدالله ، ومحمد ، وعلي ، وطلب منهم ان يتبعوها ويتخذوها منهجا" لهم في حياتهم ، وهو اذ يقدم لهم هذه الوصية ، وكانما قدم لهم حصيلة تجارب حياتية بعسرها ويسرها عاشها وهو يضعها أمامهم لتكون هاديا" لهم للنجاح في الحياة الدنيا والآخرة . والباحث في هذا المبحث يقوم باستنباط بعض الجوانب التربوية في هذه الوصية ، والتي يعدها فلسفة تربوية ناجحة و يعتقد ان ايضاحها وتحليلها يعد مساهمة في خدمة من يريد ان يتذكر ويستقي من معين السلف الصالح الذي سقته الشريعة الإسلامية من معينها العذب في تربية الانسان واعداده وكما يأتي :

١. الأيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : أوصى ابن الخطيب أولاده بالايمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى وبما جاء به رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . وأوصاهم، اذ قال (سأعيد عليكم وصية لقمان : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ((واذ قال لقمان لأبنه وهو يعظه : يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ، يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ، ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمشي في الارض مرحا" ، ان الله لايحب كل مختال فخور، واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، ان أنكر الاصوات لصوت الحمير)) (لقمان : ١٣ .١٩) وأعيد وصية خليل الله واسرائيله ، حكم ما تضمنه حكم تنزيله ((يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون)) (البقرة : ١٣٢) . وقال ابن الخطيب أيضا" (ودونكم عقيدة الايمان فشدوا بالنواجذ عليها، وكفكفوا الشبه أن تدنوا اليها) (ابن الخطيب : ص ٣٩٦) .

٢.اقامة الصلاة : لقد أوصى ابن الخطيب ابنائه باقامة الصلاة ، والتي كانت من بين ما اوصى لقمان الحكيم بها ولده ، وأكد عليهم بضرورة المواظبة عليها فقال (الله الله في الصلاة ذريعة التجلة ، وخاصة الملّة ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجر المستخدم ، وأم العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناهية عن الفحشاء والمنكر وان عرض الشيطان عرضهما ، ووطأ للنفس الأمّارة سمائهما وأرضهما)، ويشدد ابن الخطيب في حث أولاده على أداء الصلاة ، والتنويه بفضائلها ، واقامة فروضها ونوافلها فقال (وأحكموا أوضاعها اذا أقمتموها ، وأتبعوها النوافل ما اطقتموها ، فبالاتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة

استحقت الكمال ، ولا شكر مع الاهمال ، ولا ربح مع اضاعة رأس المال ، وذلك أحرى باقامة الفرض ، وأدعى الى مساعدة البعض البعض) وأوصى ابن الخطيب بالطهارة ، ونظافة الجسم والبدن ، وان تكون النيات حسنة وصافية فقال (والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطها محصل ، فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ، والحجول والغرر فأطيلوها ، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها (ابن الخطيب : ص ٣٩٧ ، ٣٩٨).

٠٣ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المبادىء الأساسية في الشريعة الإسلامية ، قال الله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران ، ١٠٤ . وقوله تعالى : (كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) آل عمران ، ١١٠ . وقال الامام الغزالي ان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له الأنبياء أجمعين) (الغزالي : ص ١١٨٦). ولأهمية هذا الجانب ، ذكّر ابن الخطيب ابنائه بوصية لقمان الحكيم لابنه ، وطلب منهم وقال (وأمروا بالمعروف أمرا" رفيقا" ، وانهوا عن المنكر نهيا" حريّا" بالاعتدال حقيقا" ، واغبطوا من كان من سنّة الغفلة مفيقا" ، واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا") . و وبهذه المبادىء الإسلامية أوجب ابن الخطيب على أولاده في وصيته ، ان يأمروا بالمعروف ، وينهوا عن المنكر، وان يطيعوا أمر من ولاه الله تعالى أمرا" ، وان يحذروا الفتنة ، وان لا يتدخلوا في الخلاف بين الناس .

٠٤ الصبر : عندما يكون الصبر فضيلة من العفة فهو يعني مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد لقبائح اللذات . وعندما يكون فضيلة من الشجاعة فانه يعني احتمال الكد (ابن مسكويه : ص١٨،١٧) . . ولأهمية الصبر في حياة الانسان نجد ابن الخطيب يوصي أولاده بما أوصى به لقمان الحكيم ولده به ، حيث أوصاهم أن يقابلوا بالصبر اذى المؤذين فقال (وقابلوا بالصبر أذاية المؤذين) .

٠٥ التواضع وعدم التكبر: اوصى ابن الخطيب أولاده بالتواضع وعدم التكبر والتعالي على الناس لان التواضع من صفات المؤمن الصالح ، وأما التكبر والتعالي من الصفات الذميمة التي لا يجيزها الشرع الإسلامي .

٠٦ الالتزام بالشريعة الإسلامية والاهتداء بها : اوصى ابن الخطيب ابنائه الالتزام بالشريعة الإسلامية ، والاهتداء بها ، واتباع الدين الإسلامي ، وأكد ان الشريعة الإسلامية هي دستور الحياة ، فقال لقد أمضيت عمري في البحث فلم أجد مسألة أو غاية يقصدها الانسان الا وقد فصلتها الشريعة الإسلامية وسبقتها .

٠٧ القناعة : عندما تكون القناعة فضيلة من العفة فانها تعني التساهل في المآكل والمشارب والزينة (ابن مسكويه : ص ١٧) ولأهمية القناعة عند الانسان طلب ابن الخطيب من أولاده ان يكونوا قنوعين بما لديهم، وألا يتأثروا على أشياء لا يمكن الحصول عليها فقال (واقتنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا على ما فات وتعذر) .

٠٨التمسك بالقرآن الكريم : أوصى ابن الخطيب التمسك بالقرآن الكريم حفظا" وتلاوة ، وان يفكروا في آياته ومعانيه ، والالتزام بأوامره ونواهيه ، وألا يؤلوا أو يغلوا فيه فقال : (وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظا"

وتلاوة ، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة ، وتفكروا في آياته ومعانبه ، وامتثلوا أوامره ونواهيه ، ولا تتأولوه ولا تغلوا فيه ، وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه .

٠٩ الزكاة : حث ابن الخطيب ابنائه على أداء الزكاة ، واعتبرها اختا" للصلاة ، وأكد على انها حق الله تعالى في مال الأغنياء لمساعدة الفقراء فقال (والزكاة اختها الحبيبة ، ولدتها القريبة ، مفتاح السماحة بالعرض الزائل ، وشكران المسئول عن الضد من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعنّاه ، من غير استحقاق ملأ يده وأخلى يد أخيه ، ولا علّة الاّ القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه . فأسمحوا بتفريقها للحاضر لاخراجها ، في اختيار عرضها ونتاجها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل) .

١٠ ٠ الصيام : أوصى ابن الخطيب أولاده بصيام شهر رمضان ، وأداء هذه الفريضة بوقار واحترام وقيام وخشوع لله سبحانه وتعالى ، وأداء مناسك هذا الشهر الفضيل على أكمل وجه واحسن صورة ، فقال (وصيام رمضان عبادة السر المقربة الى الله زلفى ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ، والاجتهاد ، وايثار التهجد على المهاد ، وان وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعية، ولواحقه الشرعية ، فبذلك تحسن الوجوه ، ، وتحصل على الرقة على ما ترجوه) .

٠١١ حج البيت : أوصى ابن الخطيب أبنائه بأداء مناسك الحج لمن استطاع ، وأكد على أهمية أداء هذا الركن في الاسلام ، مشيرا" لمنزلة من يقوم به ، فقال (والحج مع ـ الاستطاعة ـ الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنّه ، وقال ليس له جزاء عند الله الا الجنّة .

٠١٢ الجهاد في سبيل الله : أوصى ابن الخطيب ابنائه بوجوب الجهاد في سبيل الله تعالى ان كانت لديهم القدرة عليه ، وغنى لديه ، فان عجزوا بأنفسهم ، فيجب عليهم ان يعينوا من يستطيعه فقال (ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى ان كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه ، وان عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

ولم تقتصر دعوة ابن الخطيب لأبنائه للجهاد ، بل وجه قصائده الى المسلمين في المغرب تدعو الى الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى ، واغاثة الأندلس ومنها :

أاخواننا لا تنسوا الفضل والعطفا ... فقد كاد نور الله بالكفر ان يطفا
واذا بلغ الماء الزبا فتداركوا ... فقدبسط الدين الحنيف لكم كفا
تحكم في سكان العدا ... فلهفا" على الأسلام بينهم لهفا
وقد مزجت أمواهها بدمائها ... فان ظمئت فلا ريّ الا الردى صرفا
أنوما" واغفاءة على سنه الكرى ... وما نام طرف في حماها ولا أغفا
أحاط بنا الأعداء من كل جانب ... فلا وزرا" عنهم وحدا ولا لهفا
ثغور غدت مثل الثغور ضواحكا" ... أقام عليها الكفر يرشفها رشفا

(عنان : ص ١٩١) .

١٣ ٠ طلب العلم : حث ابن الخطيب أولاده على طلب العلم النافع وتحصيله ، واعتبره ذخر للانسان قليله يشفع، وكثيره ينفع ، ومن لم ينله ويحصله فهو ذليل حتى وان كثرت آماله . وأوصاهم بتحمل الصعاب من اجل الحصول عليه ، وان يشقوا ويسهروا في سبيله ، فقال (فعليكم بالعلم النافع ، دليلا" بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل الى اللّباب ، والله عز وجل يقول ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، انما يتذكر أولو الالباب)) (الزمر : ٩) والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، الى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة الى السعادة ، وفي الدنيا الى التجلّة عادة ، والذخر الذي قليله ينفع ، وكثيره يشفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدوّ المناصب) . وذكر ابن الخطيب أن خير العلوم ، علوم الشريعة ، وعلوم اللسان ، ثم تجويد القرآن ، وحفظ الحديث ، ثم أصول الفقه ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الاجلاء ، ثم يحذرهم من العلوم القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة وذلك لان أكثرها لايفيد الا تشكيكا" ، وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ، واوفق من قطع العمر في الجدال .

١٤ ٠الصدق وتجنب الكذب : ان من سمات الخلق هي الصدق ، وهذه السمة أساس الخلق وكل جوهره . فالكذاب لا خلق له (القيسي ١٩٩٨ : ص ٨) . ولأهمية ان يكون الانسان صادقا" فقد أوصى ابن الخطيب اولاده بالصدق ، لان الصدق شعار المؤمنين ، واوصاهم بالحذرمن الكذب لانه عورة لاتوارى فقال (وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين) ويقول أيضا" (واياكم والكذب فهو العورة التي لا توارى ، والسوأة التي لا يرتاب في عارها ولا يتمارى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعد الله له من العذاب ، ان لا يقبل منه صدقه اذا صدق ، ولا يعول عليه ان كان بالحق نطق (ابن الخطيب : ص ٤٠٠).

١٥. الأمانة : يقول الجاحظ : الأمانة توجب الطمأنينة (الجاحظ : ص ٧٧) . وابن الخطيب يوصي اولاده بالامانة ، ورد الامانات الى أهلها ، والايفاء بالعهد ، كما وحذر ابن الخطيب ابنائه في بث البغضاء بين الناس والمساعدة على سفك الدماء سواء بالاشارة او بالكلام فقال (وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم ، وفي وجه الديانة كلوم ، ومن الشريعة التي لايعذر بجهلها ، أداء الأمانات الى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، ولا توجدوا للغدر قبولا" ، ولا تقروا عليه طبعا" مجبولا" ((وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا")) (الاسراء : ٣٤) ولا تستأثروا بكنز ولا خزن) . ويؤكد ابن الخطيب على ان لا يبخس الناس اشياءهم ، وان يتجنبوا الفتن بين الناس فقال (ولا تبخسوا الناس اشياءهم في كيل او وزن، والله الله ان تعينوا في سفك الدماء ولو بالاشارة او بالكلام) (ابن الخطيب : ص ٤٠١) .

١٦. الابتعاد عن المحرمات : لقد أوصى ابن الخطيب بالابتعاد عن المحرمات ، وان يحافظوا على الحشمة والصيانة ، وان يبتعدوا عن ارتكاب الزنا ، ويتجنبوا شرب الخمر ، والربا ، وألايأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه فقال (واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه ، وامتد في سبيل السعادة باعه ، لو لم تتلق نور الله الذي لم يهدي شعاعه ، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم اقناعه) وقال موصيا" بتجنب الخمر ، وعده ام الكبائر حيث قال (والخمر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ، واللهو لم يجعله الله شرطا"، والمحرم قد اغنى عنه بالحلال الذي سوّغ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا

لعقولهم الفساد، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة الاجساد) وأوصى ابن الخطيب بالابتعاد عن الربا والطمع ، والعمل على كسب الرزق الحلال ، فقال (ولا تقربوا الربا فانه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول ((وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنبن)) (البقرة : ٢٧٨) وقال ((فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)) (البقرة : ٢٧٩) في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ، والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه) (ابن الخطيب : ص ٤٠٢) .

١٧. تجنب الظلم : أوصى ابن الخطيب أولاده بتجنب الظلم ، لان الظالم ممقوت بكل لسان ، والظلم ظلمات يوم القيامة فقال (واياكم والظلم فالظالم ممقوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصحاح الحسان)

١٨. التصدق : أوصى ابن الخطيب بالصدقة ، وتجنب البخل لان البخيل ممقوت ، وأوصاهم بان يذكروا المساكين اذا مدت الموائد ، وان يتقربوا الى الله باليسير من ماله ، فالخلق عيال الله ، وأحب الخلق اليه المحتاط لعياله، وقال (وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات . وتقربوا اليه باليسير من ماله ، ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق اليه المحتاط لعياله) .

١٩. صلة الرحم : أكد ابن الخطيب على صلة الرحم ، ومراعاة حقوق الجار فقال (وأرعوا حقوق الجار ، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أولي الأرحام ، والوشائج البادية الالتحام) . ولأهمية صلة الرحم بين الناس ، يعدها ابن مسكويه فضيلة من فضائل العدالة ، وتعني مشاركة ذوى اللحمة في الخيرات التي تكون في الدنيا (ابن مسكويه : ص٢٠) .

٢٠.التعاون والاخاء : اوصى ابن الخطيب بالتعاون والاخاء ، واعتبرها من عوامل النجاح وتجاوز الصعاب قال (والله الله لاتنسوا الفضل بينكم ، ولاتذهبوا بذهابه زينكم ، وليلتزم كل منكم لأخيه ، وما يشتد به تواخيه ، بما أمكنه من اخلاص وبر) وقال ايضا" (وأظهروا التعاضد والتناصر ، وصلوا التعاهد والتزاور ، ترغموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء) (ابن الخطيب : ص ٤٠٤) .

٢١.الزهد في مصاحبة أهل الدنيا : حث ابن الخطيب أولاده بالزهد في مصاحبة اهل الدنيا ، ومن ابتلي منهم في ذلك فعليه ان يستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، وحذرهم من معاداة الرجال فقال (وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشّرها ، ونفعها لا يقوم بضرّها) وقال (ومن بلي بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، وليحذر معادات الرجال ، ومزلات الادلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ، وافشاء السر) .

٢٢ . ومن وصايا ابن الخطيب لأولاده ايضا" : ان يكونوا شاكرين لنعمة الله سبحانه وتعالى ولاجئين اليه في السراء والضراء ، وعدم طاعة النساء لأنها تفرق الاخوان ، واوصاهم بالتقليل من المال وعدم معادات الرجال .

(عنان : ١٩٦) ، (ابن الخطيب ، وصيته لأبنائه : ص ٣٩١. ٤٠٦) .

خاتمة البحث :

أرتأى الباحث في ختام بحثه هذا تدوين الملاحظات الآتية :

١. كان لسان الدين ابن الخطيب يمتلك موهبة واستعدادات عقلية عالية مكنته مع تفاعله مع البيئة التي عاش فيها بايجابية أن يصل الى مراتب عليا في مجالات الحياة العلمية والمعرفية فكان الوزير ، ورجل الدولة الكبير ، وكان أعظم سياسي ، واعظم كاتب ومفكر أنجبته بلاد الأندلس في ذلك الوقت .

٢. على الرغم من الحياة السياسية المضطربة والقلقة التي عاشها ابن الخطيب ، وعدم استقراره في أغلب فترات حياته ، الا أنها لم تأخذ منه مأخذا" ، فكان تألقه يرتقي ، ونجمه يسطع ، حتى ذاع صيته وانتشرت سمعته عند السلاطين ، فكثر نتاجه ، وازدادت حنكته وصولته في ميادين العلم و المعرفة .

٣. كانت له رؤية في التربية وفلسفتها ، وخاصة في التربية الإسلامية ، استطاع ان يقدمها لأبنائه ومن خلالهم للقائمين على تربية الأبناء واصلاحهم ، فكانت وصيته الشهيرة لهم والتي قد تكون بمثابة منهج تربوي وفير وغزير لأعداد الأبناء ورعياتهم باسلوب تربوي صحيح وعلى هدي الرسالة الإسلامية السمحاء .

٤. يمكن القول ان ابن الخطيب كان يتحاكى ويتفاعل مع الموقف الذي هو فيه ، فاذا كان الموقف يتطلب شعرا" قاله وبجدارة ، واذا كان يتطلب كتابة رسالة الى احد السلاطين مثلا" كتبها باسلوب متقن وبدون تكلف ، واذا كان الموقف يتطلب وصفا" جغرافيا" أو تأريخيا" ، قام به باحكام .. حتى يمكن القول أن ابن الخطيب كان سريع البديهية والاتقان .

٥. كان ذو افق واسع في الخبال والابداع ، حتى أنه كتب رسالة في السياسة والاصلاح في ليلة واحدة ، وباسلوب بارع قدم فيه وصايا سياسية واصلاحية تدور في الافق السلطاني ، وميادينه ، وبيّن كيفية التعامل والتفاعل مع عناصره .

٦. ان الحياة القصيرة التي عاشها ابن الخطيب في مدينة سلا ، كانت من أخصب فترات حياته في الانتاج والتأليف ، فقد أنجز خلالها أكثر من عشرة مؤلفات وكان هذا نتيجة لحالة الاستقرار التي تمتع بها في هذه المدينة ، وخاصة الاستقرار النفسي والروحي سيما وان هذه المدينة ذات موقع جغرافي وبيئي ممتاز ، ولها مكانة دينية عالية .

٧. ان البيئة السلطانية التي عاش في كنفها ابن الخطيب وتفاعل معها قد تكون هي التي دفعته الى كتابة رسالته في السياسة بهذا المستوى ، وهذا الوصف .

المصـــــادر

١- القرآن الكريم .

٢- ابن الخطيب. لسان الدين، محمد بن عبدالله. الاحاطة في أخبار غرناطة، ج١، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦ .

٣- ابن الخطيب، لسان الدين، محمد بن عبد الله. وصية لسان الدين لأبنائه. في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه د. احسان عباس، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ (ص ص ٣٩١ . ٤٠٦).
٤- ابن الخطيب، لسان الدين، محمد بن عبدالله . رسالة السياسة ، ملحق في كتاب لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري ، تأليف محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٦٨م (ص ص ٣٧٦ . ٣٨٨) .
٥- ابن الخطيب ، لسان الدين ، محمد بن عبدالله . ترجمة ابن الخطيب لنفسه في كتاب لسان الدين ابن الخطيب، حياته وتراثه الفكري ، تأليف محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٨ (ص ص ٢٨٦ . ٣١١) .
٦- ابن خلدون . ترجمة ابن الخطيب ، (منقولة من كتاب العبر ، ج ٧ ص ٣٣٢ . ٣٣٦) ملحق في كتاب لسان الدين ابن الخطيب ، تأليف محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ، ط١ القاهرة ،١٩٦٨ (ص ص ٣١٣ . ٣١٧) .
٧- ابن مسكويه . تهذيب الاخلاق في التربية ، دار الكتب العلمية ، ط ١، بيروت ، لبنان ،١٩٨١.
٨- أحمد، طارق عبد و احمد محمد مخلف. الفكر التربوي عند الغزالي والقابسي في مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد / ٨ ، مكتب نون للتحضير الطباعي، ٢٠٠١ (ص ص ٢٧٧ . ٢٩٤).
٩- الأزيرجاوي ، فاضل محسن . اسس علم النفس التربوي ، جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ، ١٩٩١ .
١٠- الآلوسي ، جمال حسين و خان ، أميمه علي . علم نفس الطفولة والمراهقة ، جامعة بغداد، كلية التربية، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٣ .
١١- الإمام الغزالي . احياء علوم الدين ، الجزء السابع .
١٢- الجاحظ ، رسائل الجاحظ، الرسائل السياسية ، ط١ بيروت ، ١٩٨٧
١٣- الحلي، احمد حقي، وآخرون. مباديء التربية، جامعة بغداد، كلية التربية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٥ .
١٤- شميس الدين، عبد الأمير. الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي، بيروت، دار اقرأ، ط١ ، .١٩٨٥
١٥- عنان، محمد عبد الله. لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، ١٩٦٨ .
١٦- فهد ، ابتسام محمد . فلسفة الثواب والعقاب في ضوء الرؤية القرآنية . في مجلة الاستاذ ، جامعة بغداد، كلية التربية العدد ، ٤٨ ، ٢٠٠٤ (ص ص ١٣٥ . ١٥١) .
١٧- القيسي ، عبد الرحمن . مقدمته في كتاب التربية، تأليف عمانوئيل كانت ، ترجمة عبد الرحمن القيسي . بغداد : دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٩٨ .

١٨- كانت ، عمانوئيل . التربية / تأليف كانت ، ترجمة عبد الرحمن القيسي . بغداد : دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٩٨ .
١٩- المقري ، التلمساني احمد بن محمد . نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المجلد الرابع ، حققه الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨.
٢٠- المقري التلمساني ، أحمد بن محمد . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب حققه الدكتور احسان عباس، المجلد السابع ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ .
٢١- نجاتي ، محمد عثمان . علم النفس الصناعي ، الجزء الاول ، ط٤ ، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت ، ١٩٩٤ .